العدد 2937 - السنة العاشرة
الخميس 19 ربيع الأول 1439 - الموافق 7 ديسمبر 2017
Thursday 7 December 2017 - No.2937 - 10th Year

وصية الفاروق عمر للمسلمين في الشتاء

كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احرص الناس على الاغتنام من أوقاتهم وافطن الناس في الاستفادة من مواسم العام، وذلك لنيلهم شرف الصحبة وحرصهم الشديد على اتباع الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم، ومن جملة ما تمسكوا به واغتنموه فصل الشتاء لعلمهم بنصيحة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم «الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة» رواه أحمد وحسنه الألباني.

وقال الخطابي: «الغنيمة الباردة أي السهلة ولأنّ حرارة العطش لا تنال الصائم فيه».. وقال ابن رجب: «معنى أنها غنيمة باردة أنها حصلت بغير قتال ولا تعب ولا مشقة، فصاحبها يحوز هذه الغنيمة بغير كلفة».

فحري بك ايها المسلم اقتناص هذه الغنيمة لاسيما في الأيام الفاضلة مثل الاثنين والخميس أو الأيام البيض ونحو ذلك.

وكان فاروق الامة عمر رضي الله عنه وارضاه إذا حضر الشتاء تعاهد المسلمين والامراء بالتذكير والنصيحة ويكتب لهم بالوصية وكان من جملة وصاياه المكتوبة اليهم: «إنّ الشتاء قد حضر، وهو عدو فتأهبوا له أهبته من الصوف والخفاف والجوارب، واتخذوا الصوف شعارا (الملابس الداخلية) ودثارا (الملابس الخارجية)، فإنّ البرد عدو سريع دخوله بعيد خروجه».

غنيمة العابدين وربيع المؤمنين

وعن عمر رضي الله عنه قال: «الشتاء غنيمة العابدين». رواه أبو نعيم بإسناد صحيح. قال ابن رجب: «إنما كان الشتاء ربيع المؤمن لأنه يرتع في بساتين الطاعات ويسرح في ميادين العبادات وينزه قلبه في رياض الأعمال الميسرة فيه».

ومن كلام يحيى بن معاذ: «الليل طويل فلا تقصره بمنامك، والإسلام نقي فلا تدنسه بآثامك». وعن ابن مسعود رضي الله عنه انّه قال: «مرحباً بالشتاء، تنزل فيه البركة ويطول فيه الليل للقيام ويقصر فيه النهار للصيام».

ومن درر كلام الحسن البصري قال: «نعم زمان المؤمن الشتاء ليله طويل يقومه، ونهاره قصير يصومه». وعن عبيد بن عمير رحمه الله أنّه كان إذا جاء الشتاء قال: «يا أهل القرآن! طال ليلكم لقراءتكم فاقرؤوا، وقصر النهار لصيامكم فصوموا».

نفس الشتاء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: يارب أكل بعضي بعضا فأذن لي بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فهو أشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير» متفق عليه، والمراد بالزمهرير شدة البرد.

قال ابن رجب: «فإنّ شدة برد الدنيا يذكر بزمهرير جهنم».

وهذا ما يوجب الخوف والاستعاذة منها، فأهل الإيمان كل ما هنا من نعيم وجحيم يذكرهم بما هناك من النعيم والجحيم فيدفعهم هنا إلى النصب وإلى التهجد فكل ما في الدنيا يذكرهم بالآخرة.

ما يقال عند هبوب الريح

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عصفت الريح قال: اللهم اني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما ارسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به. رواه مسلم.

إطفاء النار والمدفئة قبل النوم

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: احترق بين في المدينة على اهله، فحدث بشأنهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «إن هذه النار إنما عدو لكم فإذا نمتم فاطفئوها عنكم» وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون» رواهما البخاري ومسلم.. وقال الحافظ بن حجر: وحكمة النهي هي خشية الاحتراق، قال: فيده بالنوم لحصول الغفلة به غالبا، ويستنبط منه انه متى وجدت الغفلة حصل النهي. فيستفاد منه الحذر الشديد من إبقاء المدافئ مشتعلة حالة النوم والحوادث لا تخفى في ذلك فتنبه.

النهي عن سب الحمى

عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أم السائب فقال: «مالك يا أم السائب تزفزفين؟ قالت: الحمى لا بارك الله فيها. فقال: لا تسبي الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب خبث الحديد» رواه مسلم

معنى تزفزفين: أي تتحركين حركة سريعة ومعناه ترتعدين، ففي الحديث النهي عن سب الحمى وكراهة التبرم وأن الحمى تكفر الخطايا والمناسبة مع الموضوع واضحة وذلك أن في الشتاء تكثر الحمى.

فائدة: قال ابن القيم رحمه الله عن الحمى: وأما تصفيتها القلب من وسخه ودرنه وإخراجها خبائثه فأمر أطباء القلوب ويجدونه كما أخبرهم به نبيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن مرض القلب إذا صار ميوسا من برئه، لم ينفع فيه هذا العلاج، فالحمى تنفع البدن والقلب وما كان بهذه المثابة فسبه ظلم وعدوان.

وهذا لا ينافي أن العبد يبذل السبب في علاجها ولأن لكل داء دواء إلا الموت كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم.

أحكام المسح على الجوارب والخفين والعمائم

الخف ما يلبس على الرجل مما يصنع من الجلد، والجورب: ما يلبس عليها مما يصنع من القطن ونحوه وهذا المعروف بـ (الشراب أو الدلاغ).. ثبت في السنة المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يمسح على الخفين.

شروط المسح: إدخالهما بعد تمام طهارة الوضوء، أن يكونا طاهرين من النجاسة، أن يكون المسح عليهما في الحدث الأصغر لا الأكبر كالجنابة أو ما يوجب الغسل.

أن يكون المسح في الوقت المحدد شرعا وهو يوم وليلة للمقيم وثلاثة أيام بلياليها للمسافر

توقيت المسح: يبدأ المسح من أول مسحة بعد الحدث وتنتهي بعد أربع وعشرين ساعة للمقيم والثنين وسبعين للمسافر لحديث علي: (وقت لنا رسول الله في المسح للمقيم يوما وليلة وللمسافر ثلاثة أيام بلياليها) رواه مسلم

اذا انتهت المدة وهو على طهارة مسحه لم ينتقض وضوءه.

صفة المسح: أن يمسح الخف أو الجورب من أعلاه من أطراف الأصابع إلى ساقه لقول علي (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يمسح ظاهر خفيه) رواه أبو داود.

المسح على العمائم المحنكة في الحدث الأصغر

ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه مسح على العمائم. رواه الترمذي.

والعمائم هي عمائم المسلمين المحنكة - أي المدارة تحت الحنك - أو ذات ذؤابه - أي التي لها طرف مرخي - أما العمائم فلا يصح المسح عليها، ويدخل في العمائم ما يلبس في أسام الشتاء من القبع الشاملة للرأس والأذنين، وفي أسفله لفه على الرقبة فإنه مثل العمامة لمشقة نزعه ومثله خمار المرأة المدار تحت حلقه، وأما الفترة أو الشماغ أو الطاقية أو الطربوش فلا يسمح عليه لأنه لا يشق نزعه.

من أحكام الطهارة

ماء المطر طهور: يرفع الحدث ويزيل الخبث قال تعالى: «وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا» (الفرقان: 48).

إسباغ الوضوء في البرد كفارة للذنوب والخطايا: والإسباغ مأمور به شرعا عند كل وضوء.

يكثر في فصل الشتاء والوَحَلُ والطين فتصاب الثياب به مما قد يشكل حكم ذلك على البعض.

فالجواب: أنه لا يجب غسل ما أصاب الثوب من هذا الطين؛ لأن الأصل فيه الطهارة. وقد كان جماعة من التابعين يخوضون الماء والطين في المطر ثم يدخلون المسجد فيصلون، لكن ينبغي مراعاة المحافظة على نظافة فرش المسجد في زماننا هذا.

يكثر في الشتاء لبس الناس للجوارب والخفاف ومن رحمة الله بعباده أن أجاز المسح عليهما إذا لبسا على طهارة وسترا محل الفرض، للمقيم يوما وليلة - أربعا وعشرين ساعة - وللمسافر ثلاثة أيام بلياليهن - أي اثنتين وسبعين ساعة - وتبدأ المدة من أول مسح بعد اللبس على الصحيح وإن لم يسبقه حدث بأن يمسح أكثر أعلا الخف فيضع يده على مقدمته ثم يمسح إلى ساقه، ولا يجرى مسح أسفل الخف والجورب وعقبه، ولا يُبسن، ومن لبس جوربا أو خفا ثم لبس عليه آخر قبل أن يحدث فله مسح أيهما شاء.

وإذا لبس جوربا أو خفاً ثم أحدث ثم لبس عليه آخر قبل أن يتوضأ فالحكم للأول.

وإذا لبس خفاً أو جوربا ثم أحدث ومسحه ثم لبس عليه آخر فله مسح الثاني على القول الصحيح. ويكون ابتداء المدة من مسح الأول.

وإذا لبس خفاً على خُف أو جوربا على جورب ومسح الأعلى ثم خلعه فله المسح بقية المدة حتى تنتهي على الأسفل.

مخالفات الطهارة

أ - بعض الناس لا يسبغون الوضوء لشدة البرد بل لا يأتون بالقدر الواجب حتى إن بعضهم يكاد يمسح مسحا، وهذا لا يجوز ولا ينبغي.

ب - بعض الناس لا يسفرون أكمامهم عند غسل اليدين سفرا كاملا - أي يكشفون عن موضع الغسل كشفا تاما - وهذا يؤدي الى أن يتركوا شيئا من الذراع بلا غسل، والوضوء معه غير صحيح.

ج - بعض الناس يُحرَجُون من تسخين الماء للوضوء وليس معهم أدنى دليل شرعي على ذلك.

من أحكام الصلاة في الشتاء

1 - الجمع بين صلاتي الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء في وقت احداهما سنة إذا وجد سببه وهي المشقة في الشتاء، من مطر أو وحل أو ريح شديدة باردة، وهي رُخصة من الله عز وجل والله يحب ان تؤتى رخصه. وتفصيل أحكام الجمع مبسوطة في المطولات.

من مخالفات الصلاة في الشتاء: التلثم: صح عن النبي صلى الله عليه وسلم النهي أن يغطي الرجل فاه.

فينبغي للمسلم إذا دخل المسجد أن يحل اللثام عن فمه، ولا بأس أن يغطي فمه أثناء التثاؤب في الصلاة ثم ينزع بعده. بل هو المشروع سواءً أكان باليد أم بشيء آخر.

الصلاة إلى النار: يكثر في الشتاء وضع المدافئ في المساجد أو في البيوت وتكون أحيانا في قبلة المصلين، وهذا مما نص أهل العلم على كراهته لأن فيه تشبها بالمجوس وإن كان المصلي لا يقصد ذلك ولكن سدا لكل طريق يؤدي للشرك ومشابهة المشركين.

الصلاة على الراحلة أو في السيارة: جائزة خشية الضرر إذا خاف الضرر وإذا خاف خروج وقتها وهي مما لا يجمع مع غيرها في الشتاء.

قال ابن قدامة في المغني: (وإن تضرر في السجود وخاف من تلوث يديه وثيابه بالطين والبلل فله الصلاة على دابته ويؤمئ بالسجود).

الدعاء في الشتاء

عند رؤية الريح: (اللهم إني اسألك خيرها وخير ما ارسلت به، واعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به).

عند رؤية السحاب: (اللهم إني اعوذ بك من شرها).

عند رؤية المطر: (اللهم صيباً هنيئا) أو (اللهم صيبا نافعا) أو (رحمة) ويستحب للعبد أن يكثر من الدعاء عند نزول المطر لأنه من المواطن التي تطلب إجابة الدعاء عنده. كما في الحديث الذي حسنه الألباني في الصحيح 1469

إذا كثر المطر وخيف منه الضرر: قال: (اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظرب وبطون الأودية ومنابت الشجر).

فائدة: يستحب للمؤمن عند أول المطر أن يكشف عن شيء من بدنه حتى يصيبه (لأنه حديث عهد بربه) هكذا فعل النبي وعلل له.

مدرسة الحياة وقصة الأعرابي مع بيع النصيحة

مدرسة الحياة هي أعظم مدرسة يتعلم فيها الإنسان العظات والعبر وافضل من يستفيد من هذه الدروس هم من دعكتهم الحياة في اتونها وخاصة من كبار السن الذين يتصرفون بتريس وتؤدة وبعيدا عن الاندفاع والحماس الذي قد يكون ضرره اكبر من نفعه.

وهذه قصة اعرابي ضاقت به سبل العيش، فسئم الحياة وقرر أن يهيم على وجهه في بلاد الله الواسعة، فترك بيته وأهله وغادر المنطقة متجها نحو الشرق، وسار طويلا حتى وصل بعد جهد كبير ومشقة عظيمة الى منطقة شرقيّ الجزيرة العربية، وقادته الخطى الى بيت أحد الأجواد الذي رحب به وأكرم وفادته، وبعد انقضاء أيام الضيافة سأله عن غايته، فأخبره بها.

فقال له المضيف: ما رأيك أن تعمل عندي على أن أعطيك ما يرضيك، ولما كان صاحبنا بحاجة الى مكان يأوي اليه، والى عمل يعمل فيه انفق معه على ذلك.

وعمل الرجل عند مضيفه أحياناً يرعى الابل وأحيانا أخرى يعمل في مضافته بعد القهوة ويقدمها للضيوف، ودام على ذلك الحال عدة سنوات كان الشيخ يكافئه خلالها ببعض الابل والماشية.

ومضت عدة سنوات اشتاق فيها الرجل لبيته وعائلته وتاقت نفسه الى بلاده والى رؤية أهله وأبنائه، فأخبر صاحب البيت عن نيته في العودة الى بلده، فعزّ عليه فراقه لصدقه وأمانته، وأعطاه الكثير من المواشي وبعض الابل وودّعه وتمنى له أن يصل الى أهله وهو بخير وسلامة.. وسار الرجل، وبعد أن قطع مسافة طويلة في الصحراء القاحلة رأى شيخا جالسا على قارعة الطريق، ليس عنده شيء سوى خيمة منصوبة بجانب الطريق، وعندما وصل اليه حيّاه وسأله ماذا يعمل لوحده في هذا المكان الخالي وتحت حرّ الشمس وهجير الصحراء، فقال له: أنا أعمل في التجارة. فعجب الرجل وقال له: وما هي تجارتك يا هذا، وأين بضاعتك ؟

فقال له الشيخ: انا ابيع نصائح. فقال الرجل: تبيع نصائح، وبكم النصيحة ؟!

فقال الشيخ: كل نصيحة ببعير.

فاطرق الرجل مفكرا في النصيحة وفي ثمنها الباهظ الذي عمل طويلا من أجل الحصول عليه، ولكنه في النهاية قرر أن يشتري نصيحة مهما كلفه الأمر فقال له: هات لي نصيحة، وساعطيك بعيرا؟.

فقال له الشيخ: «اذا طلع سهيل لا تأمن للسيل » ففكر الرجل في هذه النصيحة وقال: ما لي ولسهيل في هذه الصحراء الموحشة، وماذا تنفعني هذه النصيحة في هذا الوقت بالذات وعندما وجد أنها لا تنفعه قال للشيخ: هات لي نصيحة أخرى وساعطيك بعيرا آخر.

فقال له الشيخ: «أبوعيون بُرْق واسنان فُرْق لا تأمن له» وتأمل صاحبنا هذه النصيحة أيضا وأدارها في فكره ولم يجد بها أي فائدة، فقال للشيخ هات النصيحة الثالثة وساعطيك بعيرا آخر.. فقال له: «نام على النَّدَم ولا تنام على الدم». ولم تكن النصيحة الثالثة بأفضل من سابقتيها، فترك الرجل ذلك الشيخ وساق ما معه من مواش وسار في طريقه.

وظل يسير لعدة أيام نسي خلالها النصائح من كثرة التعب وشدّة الحر، وفي أحد الأيام أدركه المساء فوصل الى قوم قد نصبوا خيامهم ومضاربهم في قاع واد كبير، فتعشى عند أحدهم وباتَ عنده، وفي الليل وبينما كان ساهرا يتأمل النجوم شاهد نجم سُهيل، وعندما رآه الرجل تذكر النصيحة التي قالها له الشيخ ففزّ مذعورا، وأيقظ صاحب البيت وأخبره بقصة النصيحة، وطلب منه أن يخبر قومه حتى يخرجوا من قاع ذلك الوادي، ولكن المضيف سخر منه ومن قلة عقله ولم يكترث له ولم يأبه لكلامه، فقال والله لقد اشتريت النصيحة ببعير ولن أنام في قاع هذا الوادي، وقرر أن يبيت على مكان مرتفع، فأخذ جاعدَهُ ونام على مكان مرتفع بجانب الوادي.

وفي أواخر الليل جاء السيل يهدر كالرعد فأخذ البيوت والقوم، ولم يُبق سوى بعض المواشي. وساق الرجل ما تبقى مَن المواشي وأضافها الى مواشيه، وصاح لها مناديا فتبعته وسار في طريقه عدة أيام آخر حتى وصل في أحد الأيام الى بيت في الصحراء، فرحب به صاحب البيت وكان رجلا نحيفا خفيف الحركة، وأخذ يزيد في الترحيب به والتذبذب اليه حتى أوجس منه خيفة، فنظر اليه واذا به « ذو عيون بُرْق واسنان فُرْق» فقال: آه هذا الذي أوصاني عنه الشيخ، ان به نفس المواصفات لا ينقص منها شيء.

وفي الليل تظاهر الرجل بانه يريد أن يبيت خارج البيت قريبا من مواشيه وأغنامه، وأخذ فراشه وجَرّه في ناحية، ولكنه وضع حجارة تحت اللحاف، وانتحى مكانا غير بعيد يراقب منه حركات مضيفه، وبعد أن أيقن المضيف أن ضيفه قد نام،خاصة بعد أن لم يرَ حراكا له، أخذ يقترب منه على رؤوس أصابعه حتى وصله ولما لم يسمع منه أية حركة تأكد له انه نائم بالفعل، فعاد وأخذ سيفه وتقدم منه ببطء ثم هوى عليه بسيفه بضربة شديدة، ولكن الضيف كان يقف وراءه فقال له: لقد اشتريت والله النصيحة ببعير ثم ضربه بسيفه فقتله، وساق ماشيته وغاب في أعماق الصحراء.

وبعد مسيرة عدة أيام وصل في ساعات الليل الى منطقة أهله، فوجد مضارب قومه على حالها، فترك ماشيته خارج الحيّ، وسار ناحية بيته ورفع الرواق ودخل البيت فوجد زوجته نائمة وبجانبها شاب طويل الشعر، فاغتاظ لذلك ووضع يده على حسامه وأراد أن يهوي به على رؤوس الاثنين، وفجأة تذكر النصيحة الثالثة التي تقول « نام على النَّدَم ولا تنام على الدم»، فبردت أعصابه وهدأ قليلا فتركهم على حالهم، وخرج من البيت وعاد الى أغنامه ونام عندها حتى الصباح، وبعد شروق الشمس ساق أغنامه واقترب من البيت فعرفه الناس ورحبوا به، واستقبله أهل بيته وقالوا: له لقد تركتنا منذ فترة طويلة، انظر كيف كبر خلالها ابنك حتى أصبح رجلا، ونظر الرجل الى ابنه واذا به ذلك الشاب الذي كان ينام بالأمس بجانب زوجته فحمد الله على سلامتهم، وشكر ربه أن هداه الى عدم قتلهم وقال بينه وبين نفسه والله ان كل نصيحة أحسن من ألف بعير.

مواقف بطولية

عمر المختار

كثير هم الذكور في دنيا الناس لكن الرجال منهم قليل، وحتى المؤمنين منهم، والدليل على ذلك قول الله عز وجل «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه» ومن في الثقة تعرف بـ «التبعيضية» أي القليل من الكثير.

ومن هؤلاء القلة الذين سطر التاريخ أسماءهم بمداد من نور البطل المغوار «عمر المختار» ولكي تعرفوا لماذا سجله التاريخ تعالوا واسمعوا ما دار بين هذا البطل واحد أشاوس المعتدين بعد إلقاء القبض عليه ولما استجوبه الضابط الإيطالي وسأله: هل حاربت الدولة الإيطالية؟ ويجيبه عمر المختار في ثبات: نعم. وهل شجعت الناس على حربها؟ نعم.

وهل أنت مدرك عقوبة ما فعلت؟ نعم.

وهل تقرُ بما تقول؟ نعم.

منذ كم سنة وأنت تحارب السلطات الإيطالية؟ منذ 10 سنين.

هل أنت نادم على ما فعلت؟ لا. هل تدرك أنك ستعدم ؟ نعم.

فيقول له القاضي بالمحكمة: انا حزين بأن تكون هذه نهايتك. فيرد عمر المختار: بل هذه أفضل طريقة أختم بها حياتي.

فيحاول القاضي أن يغريه فيحكم عليه بالعفو العام مقابل أن يكتب للمجاهدين أن يتوقفوا عن جهاد الإيطاليين، فينظر له عمر ويقول كلمته المشهورة: إن السبابة التي تشهد في كل صلاة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لا يمكن أن تكتب كلمة باطل. ومات عمر المختار لكن شجاعته ومواقفه البطولية لاتزال خالدة في دنيا الناس.

سعيد بن جبير والحجاج

عرف التابعي الجليل سعيد بن جبير بالعلم والزهد واستجابة الدعاء، قيل عنه لما قتله الحجاج «مات سعيدا وما من احد من أهل الأرض إلا ويحتاج الى علم سعيد» وكان هذا التابعي يعيش زمن الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان رافضا لظلمه وبغيه ووقف في وجهه كثيرا وتحداه وحارب ظلمه حتى قبض عليه.. فجيء به ليُقتل.... فسأله الحجاج مستهزئا: ما اسمك؟

وهو يعلم اسمه؟ قال: سعيد بن جبير.

قال الحجاج: بل انت شقي بن كسير «يعكس اسمه».

فيرد سعيد: أمي أعلم باسمي منك حين أسمتني، فقال الحجاج غاضبا: شقيت وشقيت أمك.

فقال سعيد: إنما يشقى من كان من أهل النار، فهل اطلعت على الغيب؟

فيرد الحجاج: لأبدلنك بدُنياك ناراً تلظى! فقال سعيد: والله لو أعلم أن هذا بيدك لاتخذتك إلها يُعبد من دون الله.

فقال الحجاج: فلم فررت مني؟ قال سعيد: «ففرت منكم لما خفتكم» مقولة موسى عليه السلام لفرعون.

فقال الحجاج: اختر لنفسك قتلة يا سعيد، فقال سعيد: بل اختر لنفسك انت قتلة، فما قتلتني بقتلة إلا قتلك الله بمثلها!

فيرد الحجاج: لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحدا قبلك.. ولن أقتلها لأحد بعدك! فيقول سعيد: إذا تفسد عليّ دُنياي، وأفسد عليك آخرتك، ولم يعد يحتمل الحجاج ثباته فينادي بالحرس: جروه واقتلوه، فيضحك سعيد، ويمضي مع قاتله، فيناديه الحجاج مغتاظا: ما الذي يضحكك؟ يقول سعيد: أضحك من جرأتك على الله، وحلم الله عليك!

فاشتد غيظ الحجاج وغضبه كثيرا ونادى بالحراس: اذبحوه، فقال سعيد: وجّهوني إلى القبلة.. ثم وضعوا السيف على رقبته، فقال: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين».

فقال الحجاج غيّروا وجهه عن القبلة!

فقال سعيد «ولله المشرق والمغرب فأينما تُولّوا فثمّ وجه الله».

فقال الحجاج: كُبّوه على وجهه، فقال سعيد: «منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى»، فنادى الحجاج: اذبحوه! ما أسرع لسانك بالقرآن يا سعيد بن جبير!

فقال سعيد: أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله.. خذها مني يا حجاج حتى ألقاك بها يوم القيامة.. ثم دعا قائلا: اللهم لا تسلطه على أحد بعدي.

وظل سعيد.. ولم يمض على موته ساعات حتى صار الحجاج يصرخ من ليلة وهو يقول: مالي ولسعيد بن جبير! كلما أردت النوم أخذ برجلي يجرها! وبعد 15 يوما فقط يموت الحجاج وترفع دعوة سعيد بن جبير فوق عنان السماء ولم يسلط على أحد بعد سعيد رحمه الله.